شاب
في مجلس النبي ﷺ

إبراهيم بن فهد الحواس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شاب في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم

كتبه: إبراهيم بن فهد الحواس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد:

فقد قرأت حديثًا نبويًّا جليلًا، وحوارًا محمديًّا نبيلًا، تمثلت فيه الرحماتُ النبويةُ، وبرزتْ فيه التوجيهاتُ المحمديةُ، وتجلت فيه المشاعرُ الإيمانيةُ،

ظهر ذلك عَبْرَ سؤالٍ صادقٍ من قلبٍ مكلومٍ ونفسٍ متحسرةٍ

إنه سؤال جريء حملته أمواجُ الشهوةِ الهائجةِ، وقذفتهُ أعاصيرُ الخواطرِ الجامحةِ.

وساقَتْهُ رياحُ الشبابِ العاتيةِ، تَهَادَى ذلك السؤالُ في جنبات مجلس جليل القدر عظيم الخطر حتى استقر في سمع نبي كريم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ،

فما أشدَّ لوعةَ السائلِ، وما أعظمَ روعةَ المعلمِ.

فجالتِ النفسُ في أفناءِ هذا الحديثِ العظيمِ، وطافَ الفكرُ في أطيافِ هذا الحوار الكريم.

فتناثرت هذه الفوائد اليسيرة التي هي نتاج (تأمل محض) في ألفاظ هذا النص النبوي الجليل حيث لم أرجع فيها إلى الشروح الحديثية أو المصنفات ذات العلاقة، وإنما أذكر هذا لتكون دافعا لك، أيها القارئُ الكريمُ أن تجري قلم التعقيب والتصحيح فيما تراه يحتاج إلى ذلك، واللهَ أسألُ أن يرزقَنا العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ، وأن يرزقنا شفاعة حبيبنا صلى الله عليه وسلم.

نص الحديث:

(عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: إِنَّ فَتًى من قريش، أَتَى النَّبِيّ-صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فى الزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: "ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، فَقَالَ: "أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟، قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ. فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَىْءٍ.) رواه أحمد.

وإليك تلك الفوائد:

١- حلم النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم ينهر الشاب على جرأته، حيث سأل الإذن في اقتراف منكر عظيم جاءت الشرائع السماوية قاطبة بتحريمه والتحذير منه، بل من الاقتراب من أبوابه والولوغ في مقدماته، فليس هناك أغير من رسول الله على محارم الله ومع ذلك تجلى حلمه البالغ وصبره الفائق.

٢- قرب النبي -صلى الله عليه وسلم- من مجتمعه حيث دخل هذا الشاب، الذي لم تذكر الروايات اسمه مجلسَ النبي -صلى الله عليه وسلم- وعرض عليه مشكلته من غير خوف أو تردد. فقد كان- صلى الله عليه وسلم- لا يتخذ حاجبا، بل يلج عليه كل صغير وفقير.

٣- اختلاف نظرة العالم أو القائد، وسعة أفقه، ورؤيته عن جمهور الأمة، فقد استعظم جميع من حول النبي -صلى الله عليه وسلم- قول ذلك الشاب، وردوا رد المغضب بقولهم:(مه مه) وقد كان- صلى الله عليه السلام- مستوعبا لنفسية ذلك الشاب، وداوفع ذلك السؤال، فكان رده رفيقا مغايرًا عن رد من حوله.

٤- إن قول الصحابة لذلك الشاب: (مه مه) لا يدل على سلبية هذا الرد من كل الوجوه، بل فيه جانب عظيم الاعتبار وهو قوة المجتمع الإسلامي في إنكار المنكر واستعظام كل ما فيه خدش بالقيم الإسلامية، وهذا الجانب محمود بلا شك، وهو ما يجب أن تكون عليه الصبغة المجتمعية الإسلامية، وهذا لا يتعارض مع النظرة الاستثنائية للعالم الرباني، أو الوالي الصالح في معالجة قضايا الأفراد في بعض الوقائع ذات الملابسات الخاصة.

٥- دل الحديث على ضرورة فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك أنه ليس على المحسنين من سبيل، إذ إنه لما أنكر الصحابة على هذا الشاب السائل، وهذا غاية اجتهادهم وما وصل إليه نظرهم، ولم يكن في هذا الإنكار ضررا متعديا، لم يوجه النبي صلى الله عليه وسلم أي قول أو عتب أو حتى إرشاد، بينما قد يكون الإنكار صحيحا في بعض المواقف، لكنه قد يؤدي إلى ضرر بالغ فحينَهُ يقعُ اللومُ والعتبُ والإرشادُ، كما في حال الأعرابي الذي بال بالمسجد فزجره الناس، عندها وقع التوجيه والإرشاد النبوي، فقال:(دعوه ولا تزرموه)؛ لأنه قد يتضرر إذا حبس بوله، وقد يمتد رشاش البول في أكثر من بقعة بالمسجد عند قيامه قبل أن ينتهي من بوله.

٦- ضرورة التفريق بين العُصَاةِ أثناءَ معالجةِ ما يصدُرُ عنهم من أخطاءٍ، فيفَرَّق بين مَن أتى تائبًا أو مستفتيًا أو مسترشدًا أو طالبًا للعونِ في ترميمِ ما حصلَ منه من

أخطاءٍ، وبين مَن كان مُصِرًّا على المعصيةِ، أو مستحلًّا لها، أو مجاهرًا بها، أو داعيًا لها، أو معروفًا بها .

٧- ضرورةُ سماعِ جميعِ الإشكالاتِ الاجتماعيةِ، مهما كان حجمُها ومناقشتُها، ومداولتُها للظفرِ بعواقبِ تلك المناقشاتِ التي تبني جسورَ الصراحةِ بينَ أفرادِ المجتمعِ المسلمِ، حتى لا تُفجعَ الأمةُ بانفجارِ تلك التراكماتِ يومًا!.

٨- ليست المثاليةُ والخلوُّ من الأخطاءِ هي الظاهرةُ الصحيةُ للمجتمعاتِ، بل غايةُ الرقيِّ في المجتمعاتِ هي أن تُحصرَ تلك الإشكالاتُ والأخطاءُ، وتناقَشَ في بيئةٍ واعيةٍ ممثلةٍ في أربابِ القرارِ في ذلك المجتمعِ مع أربابِ تلك الأَخطاءِ، وهذا ما كانَ عليه المجتمعُ النبويُّ، وكفى به مثلًا يُحتذَى بِهِ.

٩- يدلُّ الحديثُ على أنَّ المعيارَ في نشوءِ بعضِ الأخطاءِ ليس هو ذات المجتمعاتِ (فلا يشك أحدٌ أن ذلك الشابَّ قد عاش في أطهر مجتمع) بل إن هناك تركيبًا نفسيًّا أودعه الرب –سبحانه- في بشرية الإنسان متمثلًا في الشهوة القابعة في النفس من الداخل، والشبهة الخاطفة من الخارج، مما يستوجب معه ضرورة عناية الإنسان المكلف بتهذيب النفس وسد منافذ الشر بلزوم شرع الله والوقوف عند حدود الله، مهما كانت ظروف مجتمعه القريب.

١٠- يدل الحديث على صدق ذلك الشاب في معالجة ما دبَّ في نفسه من خواطر سيئة، وقد دلَّ على صدقِهِ أنه لم يبحث عن قضاء شهوته بطرق خفية، وأنه لم يطعن في الشرع لتحريمه ما تشتهيه نفسُهُ، أو كَرِهَ ما أنزل الله بالتشكيك في حرمة ذلك المنكر، بل لجأ إلى الله ورسوله، وهذا أساس كل خيرٍ إذ إن الصدق يهدي إلى البر.

في قوله عليه السلام (...ادن...) إشارات، قربه صلى الله عليه وسلم:

١١- ليكون الشاب أكثر انتباها لما سيرشده إليه، ولما سيدعو له به.

١٢- ليكون أقرب إليه، وأبعد عن الناس، مما ينعكس على جواب الشاب، فيكون أكثر صراحة بعيدا عن الحياء أو الحرج من الناس، فإن المرء قد يبدي لشيخه، أو معلمه، أو حتى طبيبه ما لا يبديه أمام الناس.

١٣ – لما أراد -صلى الله عليه وسلم- أن يظهر بشاعة هذه الجريمة بدأ بقرابة الأم، ولما أراد أن يظهر بشاعة جريمة الربا ضرب المثل بالأم، هذا في التنفير والتخويف، أما في الرحمة والترغيب فلا أصدق من الأم –أيضًا- في بيان ذلك؛ ولذلك قال في تلك الأم التي وجدت ولدها في السبي فألصقته ببطنها وأرضعته: (للهُ أرحمُ بعبادِهِ من هذِهِ بولدِها) وذلك أنه قد ارتكز في النفوس ذات الفطر السَّوِيَّةِ عظمة هذه القرابة: (قرابة الولادة)على اختلاف الديانات وتنوع الثقافات، فما أعظم التقصير في حقها، وما أجل التقليل من شأنها، كيف لا؟؟!! وهي وصية النبي -صلى الله عليه وسلم-:(أمك ثم أمك ثم أمك).

١٤ - دل الحديث على عظمة حق القرابات المذكورة فيه:(البنت، الأخت، العمة، الخالة) فوجبت الصلة لهن، وبناء جسور المحبة معهن، والإحسان إليهن بالقول والفعل والوقوف على شؤونهن والحمية على أعراضهن؛ احتسابا للأجر؛ واعتبارا لحق القوامة وسيرا على طريق المروءة.

١٥ – دل الحديث على القياس المشروع، وأنه من طرق النظر المعتبرة.

١٦ – مع كثرة النصوص الشرعية في الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، التي تبين قبح الزنا وآثاره السيئة إلا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يذكر آية واحدة، ولم يتحدث عن الجنة، أو النار، أو عذاب القبر، أو سوء خاتمة العصاة، أو...، أو ...، مما يدل على أن التذكير والزجر قد يكون بالحوار، أو المناقشة، أو

التخويف بأمر دنيوي، أو بالزجر والتوبيخ لمن يتعاظم ذلك بنفسه، وكما قيل: لكل مقام مقال.

١٧- دلَّ الحديثُ على أن إحياءِ الحميةِ والمروءةِ لدى بعضِ الأشخاصِ والأعمارِ قد يفعل الأفاعيل في النفوس الكريمة النقية، التي تحتاج فقط إلى إشعال فتيل الفضيلة في تلك النفوس، وهو تطبيق عملي لما ذكرناه في الفائدة السابقة.

١٨ -دلَّ الحديثُ على عظمةِ محبَّةِ الشابِّ للنبي -صلى الله عليه وسلم- حين فَدَاهُ بنفسه بعدَ كلِّ جملةٍ يقولُها، صلى الله عليه وسلم.

١٩- هذه المحبةُ العظيمةُ بين الوالي والرعيةِ أورثت مجتمعًا صادقًا متكاتفًا، فثقةُ هذا الشابِّ بالنبي -صلى الله عليه وسلم- جعلت من ذلك الفتى ممتنعًا عن أقوى شهوةٍ، ومتوقفًا عن أعظمِ كبيرةٍ ومصرِّحًا للقائدِ الأعلى بأعظمِ جريمةٍ، فما أعظمَ أثرَ هذه المحبةِ بين الوالي والرعية على ضفافِ الشريعةِ المحمديةِ في دفع الشرور، واستبابِ الأمنِ وبسطِ الخيراتِ.

وضْعِ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- يدَهَ على الشابِّ يَدُلُّ على فوائدَ منها:

٢٠_ أنه جعل الشابَّ كالمريضِ الحسيِّ، الذي يحتاجُ إلى مَن يتحسَّسُ موضعَ الداءِ فيه، وأيُّ مرضٍ أشدُّ مِن مرضِ الشهوةِ؟!! .

٢١ – أنه جعل يدَهُ على جَسَدِهِ تطمينًا له وتسكينًا لمشاعرِهِ، فإن الشابَّ لا يدركُ ما يكونُ ردُّ النبيِّ الكريمِ عليه، وزاد اضطرابُهُ بعدَ أن سَمِعَ تلك الكلماتِ المتصاعدةِ من أرجاءِ المكانِ (مه مه) فما كانَ له أن يهدأَ ويطمئنَّ حتى باشرَتْ اليدُ الشريفةُ جسدَهُ المرتعشَ، فبأبي وأمي ما أعظمَ رحمتَهُ، وما أشدَّ شفقَتَهُ، فسبحانَ من ألهمه وعلَّمَهُ.

في ابتداءِ الدعاءِ بقولِهِ: (اللهم اغفر ذنبه) إشاراتٌ منها:

٢٢- أنَّ مَنْ سَلَكَ دربَ الهوى والعشقَ حتى وصل إلى هذه المرحلةِ الحرجةِ من الطلبِ الصريحِ بالإذنِ بالزنا إلا وقد صدر منه من الذنوب التي مهدت له الوصول إلى هذه المرحلة؛ فاحتاج معه للدعاء بالمغفرة.

٢٣ – أن الذنوبَ هي أساسُ كلِّ بلاءٍ، ومفتاحُ كلِّ شرٍّ، وبوابةُ كلِّ هلاكٍ، فأحوجُ ما يكونُ المرءُ التائبُ العائدُ إلى التخلصِّ من الذنوبِ واستشعارِ عظيمِ أثرِها على النفسِ.

٢٤- في قوله صلى الله عليه وسلم: (طهِّرْ قلبَهُ) إشارةٌ إلى أثرِ صلاحِ القلبِ وفساده على العبد، فهو العضوُ الأولُ الذي يحتاجُ التطهيرَ والمجاهدةَ، وهو أجدرُ بالعنايةِ من جميعِ الجوارح؛ فبتطهيره يُبتَدَأُ الطريقُ إلى الله، فإنْ طَهُرَ فقد تطهرت الخواطرُ والجوارحُ، وأفلحَ العبدُ، بإذنِ اللهِ.

٢٥- في قوله صلى الله عليه وسلم (حَصِّنْ فرجَهُ) إشارةٌ إلى أهميةِ هذا الدعاءِ، وأن يجعلَهَ المسلمُ من ضمن دعواتِهِ في خلواتِهِ وجلواتِهِ_ لا سيما في هذا الوقتِ الذي كثُرتْ وتهيأتْ فيه أسبابُ الفاحشةِ_ فإنَّه إذا تحصَّنَ الفرجُ، ولم يلتفتْ المرءُ إلى شيءٍ من أمرِهِ اطمئنتْ نفسُهُ للعلمِ والعملِ، وبهما نجاتُهُ وفلاحُهُ.

في قول الراوي: (فلم يكن يلتفتْ إلى شيءٍ) فوائدُ منها:

٢٦- معجزة النبي الكريم وبركة دعائه، حيث قد دخل الشاب مضطرما بنيران الشهوة المحرقة، وخرج وقد كانت عليه تلك النار المعنوية بردا وسلاما، كما كانت تلك النار الحسية على الخليل بردا وسلاما.

٢٧ -عاقبة الصدق مع الله حيث إن ذلك الشاب خرج، ولم يكن يلتفت إلى شيء، لا مقدمات أو بواعث أو خواطر فضلا عن غيرها.

٢٨ – دل الحديث على أثر الدعاء إلى الغير عند إسداء النصيحة له؛ فإنه بذلك يرجى منه قبول تلك النصيحة فلا يخفى أن في الجهر بالدعاء للشخص إظهارا لمحبته، والحرص عليه مع ما يحتويه من غاية التلطف والأدب، وكسر رحى المكابرة والإصرار لدى الشخص المقابل.

٢٩ – دل الحديث على أثر الدعاء في معالجة الأمور العصيبة وقضاء الحوائج المتعثرة وكشف الكروب المتعسرة؛ فهو سلاح المؤمن في حياته ودعوته .

٣٠ -يقودنا هذا الحديث إلى تساؤل بارز يستحق أن يكون خاتمة هذا العقد.

لقد وفد ذلك الشاب الحائر على الرحمة المهداة والنعمة المسداة فوجد البلسم الشافي والدواء الكافي، فأين يذهب شباب اليوم، وهم يعيشون زمن الشهوة المحرقة والفتن المضللة؟!!

لئن مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإن سنته قائمة وشريعته باقية وسيرته ذائعة، فأرز أيها الشاب إلى ذلك الدرع الحصين تجد كل دواء ناجع وكل هدى ساطع.

والله أعلم وأحكم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

هذا الكتاب منشور في